حاكمية الإنسان الكامل السياسية عند الشيخ جوادي آملي

حسين صدام مطشر بهادلي
طالب دكتوراه، قسم الفلسفة، جامعة الاديان والمذاهب، قم، إيران
Hussiensddam78@gmail.com
د. حميد رضا شريعتمداري
أستاذ مشارك، قسم الفلسفة، جامعة الاديان والمذاهب، قم، إيران
Shariatm46@gmail.com
د. مجيد مرادي رودبشتي
أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، جامعة الاديان والمذاهب، قم، إيران
M.moradi@gmail.com

The political sovereignty of the perfect human being according to Sheikh Javadi Amoli

Hussein Saddam Mutashar
PhD student , Department of Philosophy , University of Religions and Doctrines , Qom , Iran
Dr. Hamid Reza Shariatmadari
Associate Professor , Department of Philosophy , University of Religions and Doctrines , Qom , Iran
Dr. Majid Moradi Roudbeshti
Assistant professor , Department of Philosophy , University of Religions and Doctrines , Qom , Iran

الملخص:-

تعد حاكمية الإنسان الكامل في الفلسفة السياسية الإسلامية من المسائل الغامضة إذا ما تمت مقارنتها بغيرها من المسائل الفلسفية، وقد شغلت حيزا كبيراً في اذهان الفلاسفة المسلمين لا سيما منهم الشيعة، كونها تشكل ركيزة أساسية من ركائز المنظومة العقائدية الشيعية، وقد ادلى العديد من الفلاسفة والمفكرين بدلوهم في هذا المجال وكانت اراءهم تستند إلى العقل تارة والى الوحي تارة أخرى ومنهم من مزج بين المنهجين، وقد تبنى هذه الرؤية العديد من الفلاسفة على مر التاريخ الإسلامي الا ان الشيخ جوادي املي يعد من المع الفلاسفة المسلمين المعاصرين الذين كانت له رؤية ثرية بالمعارف في مسألة حاكمية الإنسان الكامل السياسية ونحاول في هذا البحث المرور على الافكار الرئيسية في هذه المسألة التي تشغل اذهان الكثيرين كونها تلامس بشكل واضح في عصرنا الراهن فكرة حاكمية صاحب الزمان وفقاً للمنظومة العقائدية الشيعية.

الكلمات المفتاحية: الحاكمية، الإنسان الكامل، الفلسفة السياسية، الفلسفة الإسلامية.

Abstract:-

The governance of the perfect man in Islamic political philosophy is one of the ambiguous issues if compared to other philosophical issues, and it has occupied a large space in the minds of Muslim philosophers, especially the Shiites, as it constitutes a basic pillar of the Shiite belief system, and many philosophers and thinkers have cast their role in this field and their opinions were based on reason at one time and revelation at another time, and some of them mixed the two approaches. This vision has been adopted by many philosophers throughout Islamic history, but Sheikh Javadi Amli is considered one of the contemporary Muslim philosophers who had a rich vision of knowledge in the issue of the political governance of the perfect human being, in this research, we try to go through the main ideas in this issue that occupies the minds of many because it clearly touches in our current era the idea of the governance of the Sahib al-Zaman according to the Shiite belief system.

Key words: Governance, perfect man, political philosophy, Islamic philosophy.

المقدمة:ـ

لقد شغلت السياسة حيزاً كبيراً من اهتمام الفلاسفة لا سيما المسلمين، منذ السنوات الأولى لنشأة الفلسفة الإسلامية، لما لها من تأثير على حياة الإنسان في مختلف مجالات حياته الأخرى، وقد اخذ المفكرين من ابداع النظريات السياسية التي تتلائم مع الافكار والعقائد الإسلامية في محاولة للتوفيق بين السياسة والدين وقد نجحوا في ذلك، مستمدين من التجربة الأولى للحكومة الإسلامية في عهد رسول الله محمد ﷺ باعتبارها النموذج الأول لتطبيق النظرية الإسلامية السياسية، وبعد غياب وافول الحضارة الإسلامية نتيجة السياسات المنحرفة التي اتبعها الحكام المسلمين، ظهرت هنا وهنا اصوات ونظريات تنادي بقدرة وضرورة احياء تجربة الحكومة الإسلامية رغم المعارضات التي واجهتها هذه الاصوات، كان ابرزها نظرية ولاية الفقيه، التي اسس لها العديد من الفقهاء والعلماء عبر نصوصهم المتتالية والتي اعتمدت في اركانها على مصادر التشريع وهي القرآن الكريم والاحاديث الشريفة والعقل، رغم غياب الاجماع بين العلماء وقد تصدى لهذه النظرية في العصر الراهن الامام روح الله الخميني وطرحها على شكل بحث القاه على طلبته قبل أن يسعى لتطبيقها وينجح في ذلك عام ١٩٧٩ ليعلن انتصار الثورة الإسلامية في ايران ويؤسس نظامها السياسي على اساس نظرية ولاية الفقيه، ومنذ ذلك الحين بدأت الابحاث والدراسات تنصب على حاكمية الإسلام وقدرتها على التلائم مع الواقع، وكان من اهم الشخصيات التي تناول هذا المسألة واشبعها بحثا في الوقت الراهن هو الفقيه والفيلسوف والمفسر والعارف الشيخ جوادي املي، وهذا البحث يتناول حكم الإنسان الكامل السياسي وفق الادلة والبراهين الإسلامية باعتباره النموذج الأول للحكومة.

وقبل الخوض في المحاور الرئيسية لا بد من المرور على المفاهيم الأساسية التي تناولها البحث ومحاولة فهمها فهماً جيداً حتى يتسنى لنا الانتقال إلى المحاور الجوهرية بسهولة ويسر وتحليلها تحليلاً دقيقاً، وذلك لأن العديد من البحوث والافكار يتوقف فهمها واستيعابها على استيفاء الكلام في المفاهيم لغةً واصطلاحاً ومن ثم بعد ذلك يمكن الدخول في البحث الاساسي والغوص في اعماقه بعد ان يتم الكلام في المفاهيم، ومن هنا نشرع في تناول المفاهيم الأساسية للبحث ومحاولة تسليط الضوء عليها و حتى يتسنى لنا المقارنة والتحليل

بغية الوصول إلى قراءة وفهم على المستويين اللغوي والاصطلاحي، وسوف نحصر تلك المفاهيم بأربعة مفاهيم تشكل بمجموعها عنوان البحث وهي (الحاكمية، الإنسان الكامل، الفلسفة السياسية، الفلسفة الإسلامية).

- المفاهيم الأساسية

أولاً: الحاكمية

إن معاجم اللغة تكاد تتفق على ان الاصل اللغوي لمفهوم الحاكمية مأخوذ من كلمة (حكم) والتي تأتي بمعنى المنع إذ أن ((الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها يقال حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه... والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل وتقول: حكمت فلاناً تحكيماً منعته عما يريد وحكم فلان في كذا، إذا جعل أمره إليه))[١]، وهذا المعنى نجده ايضاً في كتاب لسان العرب إذ يشير إلى المنع فيقال ((أحكمت فلاناً أي منعته، وبه سمي الحاكم لأنه يمنع الظالم، وقيل: هو حكمت الفرس وأحكمته وحكمته إذا منعته وكففته. وحكمت السفيه إذا أخذت على يده... وحكمة اللجام: ما أحاط بحنكي الدابة، وفي الصحاح، بالحنك، وفيها العذاران، سميت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد، مشتق من ذلك، وجمعه حكم))[٢].

وإذا اردنا ان نحدد المعنى بشكل ادق يمكن الرجوع إلى معجم اللغة العربية المعاصرة حيث نجد ان كلمة الحاكمية ((مصدر صناعي من حاكم، منصب الحاكم أو وظيفته أو لقبه الوظيفي))[٣] وكلمة حاكم اسم فاعل من حكم وهو من نصب للحكم بين الناس ومن يحكم الناس ويتولى شؤون ادارتهم أو صاحب السلطة، والحاكم اسم من اسماء الله الحسنى يأتي بمعنى المانع الذي يمنع المتنازعين عن الظلم وعلى هذا المعنى نجد ان الحاكم الاعلى هو من يقوم بممارسة سلطة مطلقة دائمة وعادة ما يكون في دولة أو مملكة كالملك وأيضاً من يملك سلطة قضائية مطلقة على الدولة ومن الحاكم اشتقت الحاكمية[٤] وكذلك مفهوم الحكومة ايضاً مشتق من الحكم والحاكم وهو السلطة المعطاة لإدارة الدولة ((فالحكومة بالمعنى المشخص هي الهيئة المؤلفة من الأفراد الذين يقومون بتدبير شؤون الدولة: كرئيس الدولة، ورئيس الوزراء، والوزراء، وسائر الموظفين. وتسمى هذه الهيئة

بالسلطة التنفيذية، وهي شخص معنوي له سلطة الأمر والنهي... والحكومة بالمعنى المجرد هي الحكم، أو فن الإدارة، والتدبير، والسياسة، كما في قولنا: الاصل في الحكومة تحقيق مطالب الشعب، ورعاية مصالح المواطنين، وحفظ حقوقهم))[٥].

ويمكن ان يتبادر إلى الذهن تساؤلاً منطقياً في سياق الحديث عن الحكم والحاكمية وهو هل هناك ثمة فرق أو اختلاف بين مفهوم أو مصطلح الحاكمية وبين مصطلح أو مفهوم الحكم؟، وفي معرض الاجابة عن هذا التساؤل يمكن ان نلاحظ ان هناك اختلافاً من الناحية اللغوية، رغم ان البعض قد لا يفرق بين هذين المصطلحين، إذ ان انتشار مصطلح الحاكمية في العصر الحديث؛ يجعلنا نعتقد بضرورة التفريق اللغوي بينهما، وخاصةً إذا عرفنا أن مفهوم الحاكمية بهذه الصياغة يعتبر مصطلح معاصر، وله علاقة متينة بظهور ما يسمى بجماعات الإسلام السياسي، ويمكن القول ان الفرق بينهما أن لفظ الحكم يعد اسم للحدث من حيث هو، أي أن الحكم نص ملزِم مصدره من الحاكم، أما الحاكمية فهي اسم له مع ملاحظة ذات تتصفُ به، وبذلك يبدو الفرق اللغوي واضحاً بين المصطلحين، ومع وجود هذا الفرق بينهما الا أنه لا مانع من استعمال أحد المصطلحين مكان الآخر، فليس هناك فرقٌ أن يقال: الحكم لله أو الحاكمية لله، لأن مصطلح الحاكمية- كما بينا سابقاً - مصدر صناعي يؤدي نفس المعنى الذي يؤديه مصطلح الحكم، مع التأكيد على الاختلاف في دلالات مفهوم المصطلحين من حيث الاستعمال؛ فإن الاستعمالُ السياسي هو الغالب على مفهوم الحاكمية بخلاف مصطلح الحكم الذي يستعمل للدلالة على عدة معاني مثل القضاء والالزام والمنع وغيره[٦].

نشأة المصطلح:

يعد لفظ الحاكمية من المصطلحات الحديثة التي ظهرت في منتصف القرن العشرين وان كانت من ناحية المعنى لها امتدادات تصل إلى صدر الإسلام وتحديداً يمكن القول ان مفهوم الحاكمية ارتبط بحاكمية الله تعالى كونه الحاكم على كل شيء ويعد ((أبو الأعلى المودودي هو أول من ابتدع مصطلح الحاكمية لله، فهو رائد الفكرة في العصر الحديث والمؤسس والمنظر لها، إذ طرح فكرة الحاكمية ضمن رسائل وكتب ومحاضرات تتعلق بقضايا السياسة والدستور الإسلامي، ومن أبرز كتبه في ذلك: المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، ونظرية الإسلام السياسية))[٧].

من هنا نستطيع القول ان اول من استخدم مصطلح الحاكمية هو أبو علي المودودي الذي استعمل مصطلح الحاكمية لله كثيراً خلال المدة التي قضاها في العمل مع الاحزاب السياسية الهندية، إذ أن ((المودودي جاء بنظرة متشددة ومشحونة بمشاعر القهر والانتقام من الغرب نتيجة ما عايشه من الاستعمار الغربي في القارة الهندية، فدفعه شعور الظلم الذي عاشه تحت حكم غربي جائر إلى التمرد عليه والبحث عن حاكم غيره، فراح يبحث عن مفهوم الحاكمية بناءً على منطلقاته الإسلامية حتى توصل إلى ان الحاكمية لا تكون إلا لله في قوله الحاكم الحقيقي في الإسلام إنما هو الله وحده... فالحاكمية لله وحده وهو وحده الحاكم الحقيقي في واقع الأمر ولا يستحق أن يكون الحاكم الاصلي إلا هو وحده))[٨] أي بعبارة أخرى أن المودودي يعتقد أن الحاكمية لا تحق ولا تليق إلا لله عز وجل وليس من حق أي احد أن يأخذ هذا الدور، ولكن تبني وجهة النظر هذه يجعلنا نواجه عدة تساؤلات مثل: ماهي الطريقة المناسبة لإعمال حاكمية الله في الارض، واذا كان هناك من يمثل هذه الحاكمية فما هي صفاته، هذه التساؤلات وغيرها تضعنا أمام نتيجة واحدة نكاد نتفق عليها وهي ضرورة وجود حاكم أو امام يستطيع إدارة شؤون المجتمع، لأن المجتمع بدون حاكم أو امام أو قائد سوف تسوده الفوضى ويعمه الهرج والمرج، وهناك ثلاثة مراتب للحاكمية كما يراها ابو علي المودودي:

المرتبة الأولى: وهي سلطة وحاكمية الله عز وجل وهي سلطة عليا يجب على الإنسان الخضوع والانقياد لها.

المرتبة الثانية: السلطة والحاكمية المستوحاة من وجوب طاعة النبي الاكرم ﷺ بوصفه خليفة الله في الارض.

المرتبة الثالثة: وتتمثل في القانون الالهي أو الاحكام الشرعية التي تشتمل على احكام الحلال والحرام باعتبارها احكاماً تلزم الناس الزاماً شرعياً للأخذ بها وتطبيقها كونها صادرة من الله عز وجل الحكيم والعليم[٩]، ولكن إذا تأملنا جيداً في المراتب الثلاثة التي تمثلها الحاكمية عند ابي الاعلى المودودي نجد انها في الحقيقة تعود إلى سلطة أو حاكمية واحدة وهي السلطة الالهية أو الحاكمية الالهية.

أما الشخصية الثانية التي تعاطت مع مصطلح الحاكمية في العصر الحديث فهو سيد

قطب الذي تحدث بشكل واضح ومركز عن مفهوم الحاكمية، لكن لابد من الاشارة إلى ان الحاكمية في فكر سيد قطب لم تظهر كأيديولوجيا ((إلا بمعنى الحاكمية للتشريع، إذ يرى أن الحاكمية للشريعة وليس لله، والحاكم الذي عليه أن يحكم بشريعة الله يستمد سلطته من البيعة وليس من الله، وهذه الحاكمية التشريعية ليست ضد نظم البشر كلها في ذاتها ولكنها ضد نظام بشري واحد بعينه هو الذي يقوم على الظلم الاجتماعي والعدوان على حرية الاعتقاد ففي كتاباته لم يرد أي ذكر أو استشهاد بآراء أبي الاعلى المودودي وأفكاره، كما حدث لاحقاً في كتاباته التي الفها وهو في غيابات السجون، لأن رؤيته الأيديولوجية المتشددة للحاكمية بدأت تتكون بين جدران السجون))[١٠] علاوة على ذلك، فقد صنف سيد قطب الحكم إلى نوعين هما الحكم الإسلامي والحكم الجاهلي، وتكاد تكون جميع الحكومات التي كانت موجودة في عصره منضوية ضمن الحكم الجاهلي لكونها لم تراعي الاحكام الالهية في سياستها، بل ان سيد قطب ذهب إلى ابعد من ذلك في اراءه ومعتقداته، إذ انه وصل إلى نتيجة خطيرة الا وهي ان المجتمعات الإسلامية التي تؤمن بالحاكمية الالهية لم تعد موجودة منذ قرون، أي انها انقرضت[١١].

ثانياً: الإنسان الكامل.

ربما يكون مفهوم الإنسان الكامل مصطلحاً عرفانياُ اكثر من كونه مصطلحاُ فلسفياُ وقد تناوله العديد من العرفاء في كلماتهم ومؤلفاتهم الا ان هناك ترادفاً بين الإنسان المثالي والكامل، وهذا المعنى هو الذي نقصده في الإنسان المثالي أي الإنسان الكامل وبما أن بعض الفلاسفة المسلمين قد تناولوا في مؤلفاتهم مصطلح الإنسان الكامل والذي يعني بصورة أو بأخرى الإنسان المثالي، لذلك لا ضير علينا إذا اخذنا تلك النصوص التي كانت تتمحور حول هذا المفهوم أو المصطلح واخضعناها للبحث والتحليل للخروج برؤية مشتركة للفلسفة الإسلامية السياسية حول الإنسان المثالي أو الكامل ولكن لابد من التوقف قليلاً عند الإنسان الكامل ومحاولة تسليط الضوء عليه حتى نرفع الالتباس الذي يمكن ان يقع عند البعض نتيجة الاشتباه بين المعاني والدوائر أو المساحات التي يشتغل فيها كل مفهوم.

الكامل لغةً واصطلاحاً:

من ناحية اللغة إذا رجعنا إلى ابن منظور محمد بن مكرم في كتابه اللغوي الشهير لسان

العرب فنجده يبين ان الكمال مشتق من كمل الكمال: التمام، وقيل: التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه، وفيه ثلاث لغات كَمَلَ الشيء يَكمل، وكمل وكَمل كَمالاً وكمولاً، قال الجوهري: والكسر أردؤها. وشيء كميل: كامل، جاؤوا به على كمل، تكمل: ككمل، وتكامل الشيء وأكملته أنا وأكملت الشيء أي أجملته وأتممته، وأكمله هو و استكمله وكمله: أتمه وجمله[١٢]، وفي معجم اللغة العربية نجد انه يشير إلى معنى مرادف لما تقدم في لسان العرب إذ انه يرى ان كمل، يكمل، كمالاً و كمولاً فهو كامل وأن كامل (مفرد) اسم فاعل من كمل وكمل و كمل بكامله: تماماً، كله، برمته، كما انه يشير إلى ان كمال (مفرد) مصدر كمل وكمل وكمل بالتمام والكمال كاملاً غير منقوص - له كمال الشيء[١٣].

لقد اشار الشيخ مرتضى مطهري إلى الفرق بين الكامل والتام ومنه يمكن ان يتوضح مفهوم الكامل حيث يقول مطهري ((مرة يقال: كامل، ومرة يقال: تام، وضدهما الناقص، هذا كامل وذاك ناقص وهذا تام وذاك ناقص وقد وردت الكلمتين في إحدى الآيات القرآنية "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي" ولم يقل أتممت لكم دينكم... أي أن الشيء عندما يبلغ نهايته أفقياً يقال أنه قد تم، وعندما يتحرك عمودياً، يكون متجهاً نحو الكمال. يقال أن فلاناً قد كمل عقله، فهو كان عاقلاً قبل ذلك ولكن عقله قد ارتفع الان درجة، أو يقال علم فلان قد اكتمل فهو كان له علم وكان يستفيد من علمه ولكنه الآن ارتقى درجة أخرى من درجات الكمال. إن الإنسان الكامل معناه وجود إنسان تام في مقابل إنسان لم يزل افقياً غير تام لم يزل نصف إنسان، كسر إنسان، ربع إنسان، ثلث إنسان، ليس إنساناً تاماً)) [١٤].

ثالثاً: الفلسفة السياسية لغةً واصطلاحاً

الفلسفة ((كلمة معربة "بصيغة فعللة" عن الاصل اليوناني فيلوصوفيا التي تدل حرفياً على محبة أو طلب الحكمة، حتى السؤال عن ماهية الفلسفة "ما هي الفلسفة" يعد سؤالاً فلسفياً قابلاً لنقاش طويل، وهذا يشكل أحد مظاهر الفلسفة الجوهرية وميلها للتساؤل والتدقيق في كل شيء والبحث عن ماهيته ومظاهره وقوانينه، لكل هذا فإن المادة الأساسية للفلسفة مادة واسعة ومتشعبة ترتبط بكل أصناف العلوم وربما بكل جوانب الحياة))[١٥] اذن الفلسفة لفظة مركبة من الاصل اليوناني فيلو أو فيلا وتأتي بمعنى محبة أو حب وصوفيا التي

تعني الحكمة، أي انها تعني حب الحكمة، ورغم ذلك فأننا عندما نتحدث عن الفلسفة لا يعني انها مرتبطة بالحضارة اليونانية فقط لكونها توصف ايضاً بأنها ((التفكير في التفكير أي التفكير في طبيعة التفكير والتأمل والتدبر، كما تعرف الفلسفة بأنها محاولة الإجابة عن الاسئلة الأساسية التي يطرحها الوجود والكون))[١٦].

- **السياسة أو السياسية لغةً واصطلاحاً**

رغم تعدد المعاني لمفردة السياسة الا انها في المحصلة ترجع إلى معنى واحد فقد ورد أنها تعني ((القيام على الشيء بما يصلحه))[١٧]، وورد أيضاً أنها تعني فعل السائس الذي يسوس الدواب سياسة، يقوم عليها ويروضها، والوالي يسوس الرعية وأمرهم، ولفظة سياسة مشتقة في اللغة العربية من كلمة ساس والسائس هو الذي يعتني بالدواب ويدير شؤونها وقد انساق هذا المعنى إلى المجتمع والدولة ليكون معنى السياسة هو ((تنظيم أمور الدولة، وتدبير شؤونها، وقد تكون شرعية، أو تكون مدنية، فاذا كانت شرعية كانت أحكامها مستمدة من الدين، وإذا كانت مدنية كانت قسماً من الحكمة العملية، وهي الحكمة السياسية، أو علم السياسة وموضوع علم السياسة عند قدماء الفلاسفة هو البحث في أنواع الدول والحكومات، وعلاقتها بعضها ببعض، والكلام على المراتب المدنية وأحكامها والاجتماعات الإنسانية الفاضلة والرديئة ووجوه استبقاء كل منها وعلة زواله، وكيفية رعاية مصالح الخلق وعمارة المدن وغيرها))[١٨] بعبارة أخرى ان السياسة تعني مراعاة شؤون المجتمع من خلال اتباع اساليب ومناهج معينة داخل الدولة وخارجها لضمان أمن الدولة وسيادتها وتوفير فرص العيش الكريم للرعية من خلال اتباع منهج اقتصادي معين يوفر للمواطنين فرص العمل إضافة إلى تشريع القوانين التي من شأنها أن تسهل عمل الحكومة وتضمن حقوق مواطنيها بشكل عام.

رابعاً: الفلسفة الإسلامية

اطلق مصطلح الفلسفة الإسلامية على تلك الافكار والآراء والتأملات حول مختلف القضايا الهامة التي أبدعت في اطار الدين الإسلامي الحنيف بكل مجالات الحياة لاسيما المرتبطة منها بالفكر، وكان هناك اختلافاً بين بعض المؤرخين في اعتبار هذه الافكار فلسفة أم لا ! ولكن ليس هناك أدنى شك أن الفلسفة الإسلامية هي التصوير النهائي المتجدد للأمة الإسلامية، وتطور هذه الأمة الخلاق خلال الدهور. ولا يوجد في حياة المسلمين ولا في

تاريخهم حقائق أخطر و أدق من حقائق الفلسفة الإسلامية، إنها تعبر عن جوهر حياتهم، و تشير إلى مرآة تطورهم، وتعكس آمالهم وآلامهم. ولقد تضمنت هذه الفلسفة العديد من الافاق، واقتحمت مجلات واسعة، سواء كانت ميتافيزيقية أو أخلاقية أو سياسية أو طبيعية، وأقامت حضارة تتميز بطابع منفرد يفصلها عن غيرها من الحضارات، ويميزها عن باقي الأمم، ولهذا لا يصح أن نقول إنها امتداد لحضارة أخرى، أو صورة غير ناضجة لأفكار وفلسفات سابقة عليها. إن الروح الفلسفية التي تنبعث من أمة تتميز بخصائص معينة لا يشابه ابداً الروح الفلسفية المنبعثة من أمة تختلف في الخصائص وتتباين في الآفاق[١٩].

ماهية السياسة عن الشيخ جوادي آملي:

ينطلق الشيخ جوادي أملى في بحث السياسة من التعريف، إذ لابد من تعريف المفاهيم حتى يمكن الخوض في تفاصيلها و متعلقاتها، حتى يسهل التعاطي مع تلك المتعلقات، ولذلك نجد الشيخ جوادي يعرف السياسة بأنها ((صناعة يعرف بها تدبير الإنسان بحاله من الشؤون الفردية والاجتماعية، وبما له من العقيدة والخلق والعمل، وبما له مساس بالطبيعة، وبما له روابط خاصة مع أهله وقومه ومن يشاركه في النوع مع ماله ربط خاص بمبدئه ومبدأ الكل وهو الله الخالق لكل شيء))[٢٠]، إضافة إلى ذلك تعتبر السياسة حكمة عملية تتفرع عن الحكمة النظرية وترتبط بما يراه الإنسان ويعتقد به، فاذا كان يعتقد أن الإنسان يقتصر وجوده على المادة فقط، وان أي موجود ليس بمادي لا وجود له، كما أن هذا الإنسان الموجود سيصير إلى العدم ولا توجد حياة بعد هذه الحياة الطبيعية وليس هناك أي حساب ينتظره بعد موته، فهذا الإنسان المادي النظر سوف تكون السياسة عنده((هي كيفية تدبير الإنسان وإدارة شؤونه بحيث يأكل ويتمتع ويترف بتزين الأزياء، ويتكاثر ويقول أني أكثر مالا وأعز نفرا، يتبجح بانه أحسن أثاثا ورئيا ولا يبالي من اين كسب المال و اين انفقه، حلالا كان أو حراماً، فعلى هذا تكون العناصر الرئيسية للسياسة مادية بحتة))[٢١].

أما إذا كان يعتقد أن الإنسان يتألف من بدن مادي ونفس ناطقة لا تموت ولا تفنى وهذه هي حقيقة ذلك الإنسان التي تنتقل من دار إلى أخرى فهي لا تنعدم بشكل نهائي بل تتحول من حالة إلى أخرى حسب ما يحمله صاحب تلك النفس من معارف وعلوم واخلاق واعمال، وان هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة الدنيوية، وفي تلك الحياة سوف يرى الإنسان جزاء كل اعماله واخلاقه و معارفه، وسوف توفى كل نفس ما كسبت ان

كانت خيرا أو شراً[٢٢]، فإذا كانت هذه النظرة لدى الإنسان فالسياسة عنده ((صناعة تهذيب الإنسان وتصحيح روابطه الفردية والاجتماعية، بحيث يقوم بالقسط ويأمر بالعدل ويؤثر غيره على نفسه وان كان به خصاصة))[٢٣]. وهذه النظرة للسياسة تجعل العناصر الأساسية للسياسة تتألف من الأمور المادية والمعنوية.

إذن هناك اتجاهان في فهم السياسة كصناعة احدهما يرى أن وجود الإنسان مقتصر على هذا العالم المادي فقط، و لذلك فمن البديهي ان ينظر لها ويعرفها تعريفاً ينسجم مع الاتجاه المادي، ويصبح كل همه هو تلبية احتياجات الوجود المادي للإنسان، ولا يعنيه أي بعد آخر، ومن ثم يبدأ بصياغة القوانين وإيجاد الاساليب الذي تحقق له هذه الغاية، والاتجاه الثاني يرى أن هناك وجود اخر للإنسان بالإضافة إلى وجوده المادي، هو الوجود المعنوي والروحي، وان وجود الإنسان لا يقتصر على هذا العالم المادي فقط بل أن هناك عالم آخر ينتظر الإنسان وان قوانين ذلك العالم تختلف تماماً عن قوانين هذا العالم المادي، وأن العالم الآخر يعتمد على ما يفعله هذا الإنسان في هذه الدنيا فالدنيا مزرعة للآخرة، ومن هنا نجد النظرة تختلف في التعاطي مع السياسة إذ ان نطاق السياسة يصبح أوسع ووظيفتها اكبر وأهم لأن تأثيرها سيغطي العالمين المادي والمعنوي والدنيا والأخرة، بل انها أي السياسة ستعطي الأولوية فيما لو كان هناك تعارض للعالم الآخر لانه الغاية من وجود الإنسان وفيه يصل الإنسان إلى الكمال، لكن بشرط ان يكون قد اعد مقدمات ذلك الوصول للكمال في عالم الدنيا.

وبما ان الكلام يدور حول السياسية عند الشيخ جوادي املى، لذلك نجد الشيخ يركز على السياسة الإسلامية كونها تمثل الاتجاه الثاني الذين يتعاطى مع وجود الإنسان في العالمين الدنيوي والأخروي، و من هنا يحدد املي العناصر الأساسية للسياسة الإسلامية، لأن ((الإسلام دين الهي يرى الإنسان متحولاً من النشأة الأولى إلى الأخرة ليرى أعماله ويجزي بها، ويرى أن له مبدئاً أوجده. ومعاداً يصير هو اليه ويلقاه ويحاسب عنده - فالعناصر الأصلية للسياسة عنده مؤلفة من العلل الطبيعية ومن العلل غير الطبيعية))[٢٤] ويذكر الشيخ جوادي أملي اربعة عناصر رئيسية للسياسة الإسلامية. وهي[٢٥]:

أولاً: العنصر المادي، وهو الإنسان بما انه نوع يعيش مع أبناء نوعه، وله خصائص فردية، وخصائص اجتماعية.

ثانياً: العنصر الصوري: وهو الدين الالهي بما له من الحكم والأحكام وهو كرامة إلهية يتصور بها الإنسان، و يصير به كريماً في فضائله وفواضله وكريماً في عقائده وأخلاقه وأعماله، وكريما في روابطه الفردية والاجتماعية، وتتبلور سياسته في كرامته الشاملة.

ثالثاً: هو العنصر الفاعلي: وهو الله رب الإنسان ورب كل شيء، الحري بأن يديره ويربيه ويسوسه ويهديه إلى صراطه، ولا سائس سواه ولا رب غيره.

رابعاً: العنصر الذائي: وهو الكمال المطلوب المحقق والبهاء الصرف الذي لا كمال فوقه ولا بهاء وراءه الجدير بأن يكون غاية للإنسان الكادح اليه ونهاية له ينتهي بلقائه ويستقر لديه، وهو الله الذي إليه تصير الأمور فهو تعالى الآخر كما أنه تعالى هو الأول.

يرى الشيخ جوادي ان السياسة تهدف إلى حفظ كرامة الإنسان، إذ ان الإنسان المسوس تقع عليه اعمال السياسة في كافة شؤونه التي يعيش بها في جميع ادواره و اطواره وسواء مع أوليائه أو مع اعداءه، وأن تدبيره و سياسته تكمن في كرامته واكرامه وان الله سبحانه الخالق الأكرم هو السائس في الحقيقة، ويصبح الهدف الاسمى هو لقاء المسوس بالسائس، والإنسان الذي يعرف الإسلام و واقعيته، ويعرف ايضاً الإنسان، ويعرف الله الخالق المبدأ لكل مخلوق ويعرف المعاد، حيث رجوع الإنسان إلى الله سبحانه أيضاً، " انا لله وانا اليه راجعون" الإنسان الذي عرف هذه المسائل سوف يعرف السياسة الإسلامية واعرف الناس بتلك المسائل اعرفهم بالسياسة الإسلامية كما ان الجهل بتلك الحقائق يؤدي إلى الجهل بالسياسة الإسلامية لأن ذوات الأسباب تعرف بأسبابها(٢٦).

وهنا تبرز أهمية بيان مقدمات المسائل لاسيما الفلسفية والعقائدية التي تتعلق بالرؤية الكونية، حيث تشكل هذه المسائل منظومة واحدة لا يمكن بحث مسألة واحدة بالذات بمعزل عن المنظومة التي تنتمي إليها تلك المسألة فسياسة المجتمع وادارته وتدبيره من المسائل المحورية في تحقيق سعادة المجتمع لأنها مسؤولة عن توفير العديد من احتياجات الإنسان الضرورية المرتبطة بحياته بالدرجة الأساس مثل توفير الأمن والغذاء والمرتبطة بسعادته وكماله كغاية أساسية لوجوده، على اعتبار أن الإنسان لا ينحصر وجوده بالمادة فقط كما اشرنا سابقاً إلى ذلك، بل أن هناك عالماً وحياة أخرى ولذلك لابد من مراعاة الأسس

والأصول التي انطلقت منها مسألة السياسة، واذا ما رجعنا إلى الاصول وجدنا انها مرتبطة بالنظام والدستور الذي اراده الله، ومن هذا المنطلق لا يمكن للحكومة ان تنجح في ايصال الناس إلى سعادتهم وتحقيق أهدافهم التامة من دون القانون الذي صاغه خالق هذا الكون وهو الله سبحانه، وهذا القانون المعصوم من الخطأ لابد له من ((إنسان كامل كافل لذلك القانون المصون عن كل نقص وشين وقائم بأمره بحيث يفسره كما هو في نفسه، ويعلمه الناس ويبلغه لهم، ويدعوهم إليه، ويسير فيهم بنفس ذلك القانون ويضحي بنفسه اتجاهه لأن في حفظ ذاك القانون الراقي تحفظ الإنسانية وتصير مدينتها فاضلة))[٢٧].

فالقانون الكامل الذي لم يفعل شيئاً من أمور الدين والدنيا الا وقد بينها وعالج مشكلاتها، لا بد لهذا القانون من إنسان يبينه ويفسره ويشرحه ويطبقه وهو ((الإنسان الكامل الحافظ لحدود القانون المفسر له علماً، المنفذ له عملاً، هو الإمام السائس للناس على ميزانه بحيث لا يحيف ولا يجور فيه ولا يفسره بالأهواء، ولا يعمل فيه بالأراء الخاصة، بل يقدسه كل التقديس، ويحفظه كل الحفظ عن التحريف والضياع))[٢٨]، إذن السياسة الإسلامية التي يراها الشيخ جوادي أملي لا تقتصر على تدبير الإنسان كائناً ما كان وكيفما اتفق، بل انها تعلم الإنسان الكتاب التدويني والتكويني، وتعرفه نفسه حتى يعلم من هو ومن اين اتى وكيف يعمل والى اين هو ذاهب، وهذه هي السياسية الحقيقية التي تقود الإنسانية وتدبرها، وتهيئ لها أسباب الحياة الطيبة ولا تجد فيها مكانا للظلم ولا للتعدي والاستبداد والطغيان، والإنسان في ظل هذه السياسة ينشد الكرامة التي لا سياسة دونها، كما انه لا كرامة في ظل سياسة تكون خالية من الميزان الالهي أو القانون الألهي، والكرامة تكمن في التقوى ((لأن التقوى في لسان الوحي الكريم هو المعيار للكرامة وحسب، وان درجات الكرامة تتبع درجات التقوى فمن كان تقياً كان كريماً، ومن كان اتقى كان اكرم، ولا قيمة للإنسان الا بالكرم ولذا قال سبحانه وتعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً " فمن لا تقوى له لا كرامة له ومن لا كرامة له لا إنسانية له))[٢٩].

يمكن القول إجمالاً ان السياسة الإنسانية كامنة في كرامتها كما انها متعلقة بكرامة الإنسان، أي بمعنى آخر ان السياسة تهدف إلى حفظ كرامة الإنسان ويترتب على ذلك أن تقتضي الكرامة أن لا يعبد الإنسان ولا يطيع الا الخالق لكل شيء، والخضوع لا يكون الا

له، ولا حاجة لغير الله سبحانه ولا يطلب من سواه ولا يتوكل على احد غيره، والثقة منحصرة به ولا سبيل يمكن ان يسلكه الإنسان الا سبيله بل حتى الموت والحياة لله سبحانه كما في قوله تعالى " قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين " حيث أنه تعالى أمر خليفته في الأرض واشرف بريته بذلك، ثم أمر الناس أن يتخذوا من رسوله وخليفته (صلوات الله عليه و آله) اسوة وقدوة -فقال عز من قائل "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"، وبناء على ذلك، فليس هناك سلطة على الإنسان لغير الله تعالى، كما أنه ليس لأحد أن يدعي السلطة على الناس لأن كرامة الإنسان ترفض وتأبى الخضوع الا لله وحده، فلا رب سواه، ولا اله الا الله، وما طاعة الانبياء والمرسلين العظام والأئمة المعصومين الابرار الا طاعة لله تعالى وامتثالاً لأوامره " من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما أرسلناك حفيظاً "-النساء-٨٠ - كما ان الرسول والنبي لا شأن له الا التبليغ بما انزل عليه من الوحى، من دون زيادة أو نقصان، لأنه "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" واما الإمام باعتبار انه خليفة رسول الله بالحق[٣٠].

- **حاكمية الإنسان الكامل**

يعطي الشيخ جوادي أملى الحق بالحكم للإنسان الكامل، باعتباره امتداداً لحاكمية الله سبحانه، وهذه الحاكمية ثابتة للأئمة المعصومين مثل ثبوتها للنبي محمد ﷺ، وهم لا يمكن أن يحكموا بغير الحق والعدل، لأن حكمهم بما أنزل الله (وحيث ان الحكم لابد وان يكون بالحق وأن الحق لا يكون إلا من الله فحسب كما قال تعالى " لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين " فالحكم لا يكون الا بما أنزل الله، واما الحكم الذي لا يكون بالحق (أي بما أنزل الله) فهو جور وجاهلية شرقية كانت تلك الجاهلية أم غربية حيث قال الله تعالى (افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فتحصل أن الرسول ﷺ وكل من كان إماماً معصوما فهو مع الحق)[٣١] أي بعبارة أخرى أن حاكمية الله سبحانه تتجلى في حاكمية الإنسان الكامل باعتباره خليفة لله تعالى وهذه الحاكمية لها عدة مصادق، ولا نريد هنا ان نسلط الضوء على كل المصادق، ولكن نكتفى بهذه الإشارة، ونركز على موضوع البحث وهو حاكمية الإنسان الكامل السياسية.

إن النظام أو الدستور الألهي الذي انزله الله سبحانه وتعالى على عباده عن طريق

الرسل والأنبياء، جاء لينظم كل ابعاد الإنسان المعنوية والمادية، فقد وضع هذا الدستور احكاماً يضمن تطبيقها سعادة الإنسان وتكامله في السهم الروحي والمعنوي الأخلاقي، كما انزل ايضاً احكاماً تنظم الحياة الاجتماعية وتحدد طبيعة العلاقات التي يجب على الإنسان أن يتعاطى معها من اجل تحقيق الانسجام والتعاون الاجتماعي بغية الوصول إلى السلام والاستقرار الاجتماعي والذي ينعكس بدوره على سعادة الإنسان، كما انزل الله احكاماً في كتابه الكريم وعبر رسله وانبياءه لتنظيم البعد الاقتصادي الذي يعد من الابعاد الضرورية والمهمة في حياة الإنسان، ولم تهمل النصوص الألهية المتمثلة بالقرآن الكريم والاحاديث المروية عن النبي واهل بيته المعصومين البعد السياسي في حياة الإنسان، فنجد أن هناك تركيز واضح على ضرورة تفعيل هذا البعد بما ينسجم مع الابعاد الأخرى، بل أن أهمية الحكومة السياسية التي تسعى لتطبيق الأحكام الإلهية تكمن في أن الابعاد الأخرى المهمة لتحقيق سعادة الإنسان وكماله مرتبطة بقيام مثل هذه الحكومة العادلة ارتباطاً وثيقاً، فهي تؤثر في جميع الابعاد الأخرى سواء كانت معنوية روحية اخلاقية أو كانت مادية اجتماعية أو اقتصادية فضلاً عن الابعاد الأخرى.

فإذا كانت الحكومة عادلة وتعمل وفق الدستور الإلهي، سعت إلى نشر العلم والمعرفة بين الناس، وبسط العدل والقسط في ربوع المجتمع كما تسعى مثل هذه الحكومة إلى القضاء على الفقر وتحقيق الرفاهية الاقتصادية وفق العدل الاجتماعي، علاوة على سعيها إلى تحقيق السلام ونشر الأمن والامان فضلا عن القضاء على الفساد والظلم والطغيان والانحراف الأخلاقي من المجتمع وهي في كل هذا تسعى لحفظ كرامة الإنسان، ولياقة الإنسان لكي يكون خليفة الله في الأرض، يقول الشيخ جوادي في كتابه ثورة العشق الإلهي((أن الهدف الأعلى للرسالة ونزول الوحي هو الحكومة الإسلامية، ونورانية المجتمع الإنساني، وحماية الإنسان النوراني من ظلمات الهوى وصدمات الهوس والمحافظة عليه من الوساوس والمغالطة فيتحرر فكره من الوهم ويطهر عمله من لوث الشهوات. وعلى هذا فإن الهدف المهم من وراء تأسيس النظام الإسلامي انطلاقاً من قاعدة الوحي والنبوة من أجل ان يكون الإنسان خليفة الله))[٣٢]، ولذلك فان مثل هذه الحكومة التي يجب أن تكون عادلة وحكيمة وعالمة بالنظام الالهي الكفيل بسعادة الإنسان لا يمكن أن تتحقق من دون حاكم عالم وحكيم وعادل، أنه الإنسان الكامل وخليفة الله في الأرض الذي اناط الله به مهمة قيادة

المجتمع إلى الكمال الإنساني والسعادة الأخروية فضلاً عن الدنيوية، يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ "الحديد: ٢٥".

يعقب الشيخ جوادي آملي على هذه الاية المباركة بقوله ((تتجلى في هذه الآية الهدف العام للرسالات الالهية، وهو تنفيذ العدالة في المجتمع الإنساني وأن هذا لا يتم الا من خلال الأفراد النورانيين - ذلك ان خليفة الله الذي هو الإنسان النوراني هو وحده المدافع الحق عن حقوق الآخرين، وما أوردته الآية الكريمة حول مهمة الأنبياء انما هو هدف غير نهائي فالهدف النهائي هو ان يصبح الإنسان الكامل خليفة الله - لأنه المعلم الوحيد للإنسانية وهو الذي يعلمهم الكتاب والحكمة ويهذب النفوس البشرية بل ويعلم الملائكة أسرار الأسماء الألهية))[٣٣].

إن تكوين المجتمع المدنى وانشاء الحكومة من ضروريات الحياة الاجتماعية للإنسان، ولا شك أن الحكومة لابد لها من نظام تقوم عليه وتستند له وقد تعددت الجهات التي طرحت أنظمة مختلفة للحكم، وهذا ما هو واقع وشاهد للعيان وتاريخ الانظمة السياسية يشهد على ذلك، فهناك النظام الدكتاتوري القائم على اساس حكم الفرد الواحد وفق ارادته ورأيه وعدم اعطاء أي احد آخر أي حق بإبداء الآراء، وقريب منه النظام الشمولي الذي يعتمد على حكم فئة معينة أو حزب واحد من دون ان يكون هناك أي اعتبارات لكرامة الإنسان وقيمته، وهناك ايضا النظام الديمقراطي القائم على حق الأكثرية بالإضافة إلى النظام الملكي فضلاً عن امثلة أخرى تدور حول نفس هذه الانظمة أو تكون قريبه منها، لكن ما يجمع هذه الانظمة انها وضعت من قبل الإنسان ولذلك سميت بالأنظمة الوضعية، ولما كان الإنسان لا يستطيع ان يدرك مصالحه وكماله لوحده، لذلك تجده قد اهتم بالبعد المادي له، ومن هنا كانت أغلب هذه الانظمة تراعي المصالح المادية للإنسان وتهتم بوجوده الدنيوي فقط كما أنها لم تستطع ان تحل جميع مشاكل المجتمع حتى في البعد المادي لكون أن صياغة هذه الانظمة تم من خلال عقول قاصرة عن معرفة الأبعاد والآثار البعيدة لتشريع القوانين.

إن الحكومة الإسلامية المنبثقة من الدستور الالهي القائمة على اساس القرآن واهل البيت، قادرة على قيادة المجتمع إلى سعادته المطلوبة وهدفه الاسمى، لكن لابد لتشكيل مثل

هذه الحكومة من أمور ((من أهمها تحلي القائم بها بالحكمة في التدبير والإدارة السليمة، ومعرفته بسياسي الداخل والخارج، ومعرفته بأصول السياسة وقواعدها، والقدرة على إدارة العاملين تحت إمرته ويمكن القول ان الفوضى الحاصلة من سوء تدبير الزعيم السياسي ليست باقل من الفوضى المسببة عن عدم وجود أصل الحكومة))[٣٤]، ومن هنا كان يجب أن يكون الحاكم في الدولة الإسلامية مستجمعا لكل صفات الكمال الإنساني أي إنسانا كاملا حتى يستطيع قيادة المجتمع إلى سعادة الدارين الدنيا والأخرة، ويوصلهم إلى غاية الكمال الإنساني، فهو قدوة واسوة، به يهتدون وبه يتأسون وله يتبعون لأن قائد ((المجتمع الإنساني هو النموذج الكامل السالك في طريق الكمال وخليفة الله يستند في قدرته إلى امكانات الخلافة الالهية، وعندها يمكنه تشكيل الحكومة الإسلامية، ويعلن حاكمية القانون الإلهي وشريعة السماء في الأرض، حيث الهدف الأسمى، الحكم بالحق وتنقية العدالة باحترام الحقوق المتقابلة بين الناس))[٣٥].

أهداف الحكومة الإسلامية:

يذكر الشيخ جوادي آملي في كتابة ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة هدفين اساسيين لقيام الحكومة الإسلامية، وهما مستفادان من الآيات القرانية الكريمة. والاحاديث الشريفة المروية عن المعصومين إضافة إلى سير المعصومين والأولياء الصالحين وهذان الهدفان هما ((الأول هداية الناس وتعريفهم بسبل بلوغ مقام خليفة الله تمهيداً لسيرهم وسلوكهم إلى الله، والثاني تحويل البلد الإسلامي إلى مدينة فاضلة، وتوفير الأمور اللازمة لبناء الحضارة الأصيلة وتبيان الأصول الحاكمة على العلاقات الداخلية والخارجية))[٣٦] وهذا ما ذكره أيضاً في كتابه ثورة العشق الإلهي بعد ان ذكر ثلاثة انظمة أو ثلاثة أسس وهي[٣٧]:

أولاً: النظام الفاعلي: وهو ان المبدأ الفاعل الوحيد للإنسان والعالم بأكمله هو الله سبحانه، وأن جميع العلل التي كانت سبباً لظهور الإنسان ونموه، هي في الحقيقة مخلوقات ومعلولات لإله واحد هو الله سبحانه ولا يوجد أي من هذه المخلوقات كعامل مستقل لا في وجوده ولا وجود الإنسان أبداً.

ثانياً: النظام الداخلي للإنسان: أي انه حقيقة تتألف من جسم مادي حيوان وروح مجردة بعبارة أخرى أن الإنسان يختلف عن الملائكة التي هي أرواح مجردة بدون

جسم ويختلف عن الأجرام والكواكب التي هي اجسام مادية من دون روح، فالإنسان يتألف من الروح التي هي المقوم والجوهر للإنسان وهذه الروح لا تفنى ولا تزول، أما الجسم فهو قابل للزوال والفناء.

ثالثاً: النظام الغائي للإنسان أي أنه لا يفنى بالموت إذ يذهب إلى عالم آخر بعد زوال العالم الدنيوي ببدن يناسب ذلك العالم الخالد، كما ان جميع عقائد وأفكار واخلاق وافعال وتصرفات الإنسان سوف تحشر معه ولا يستطيع الانفكاك عنها.

من هنا، يؤكد الشيخ جوادي املي ان ((أهم غايات الحكومة الإسلامية والتي تنسجم مع النظم الثلاثة للإنسان هو شيئان - توفير الأرضية المناسبة لتحقيق خلافة الإنسان أولا، وثانيا بناء المدينة الفاضلة حيث توفر مبادئ الحضارة الحقة في اطار من العلاقات الداخلية والخارجية الثابتة. ان النصوص الدينية جميعاً بما في ذلك القرآن الكريم وسنة المعصومين وسيرة الاولياء الصالحين وبالرغم مما تزخر به من معارف لكن عصارتها جميعاً تصب في هذين البعدين))[٣٨]، فالإنسان كما ذكرنا سابقاً يتألف من روح وجسد لكن الاصالة للروح اما الجسد فهو تابع لها، وحتى نضمن سلامة الروح من تأثير العقائد الفاسدة المنحرفة والأخلاق الذميمة كان لابد من الاهتمام بالجسد لأنه مركب الروح، وكذلك الحال فيما يتعلق بالمدينة الفاضلة، إذ ان الهدف من إنشاءها وبناءها هو تربية الناس وهدايتهم وفق النظام والدستور الإلهي الأمثل والكامل حتى يستطيعوا ان يصلوا إلى مقام "خليفة الله"، ولذلك فإن الأصل من بين الركنين التي اشار لهما الشيخ جوادي لقيام الحكومة الإسلامية هي للركن الأول الذي هو هداية المجتمع والناس إلى الخلافة الإلهية، واذا كان مصير البدن مهما كان سليماً ومعافى هو الفناء والزوال في حين أن الروح خالدة باقية، فإن المدينة الفاضلة كذلك سوف تفنى وتزول مهما بلغت من مراتب و درجات في الكمال والتقدم الحضاري، في حين ان خليفة الله الذي هو الإنسان الكامل والمثالي لا يفنى ولا يزول فهو مصان من جميع اشكال الفناء، بمعنى آخر ان خليفة الله بمنزلة الروح وان المدينة الفاضلة بمنزلة الجسم، وكما ان الروح هي التي تضمن وتحفظ سلامة الجسم من حيث أن الاصالة لها، فإن الإنسان الكامل الذي هو خليفة الله والذي له الاصالة هو من يقيم المدينة الفاضلة ويحققها[٣٩].

ويرى الشيخ جوادي أن تنوير الإنسان هو الهدف النهائي لقيام الحكومة الإسلامية، فالهدف الأساسي والمحوري للحكومة الإسلامية هو ذاته الهدف من انزال القرآن على الناس والذي بينته الآية الكريمة في مطلع سورة ابراهيم حيث يقول الله تبارك وتعالى ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ "ابراهيم: ١" أي ان الهدف يكمن في اخراج الناس وانقاذهم من الظلمات من اجل ان يصلوا إلى النور، ومهمة تنوير الناس تتحقق من خلال السير والسلوك على صراط الله العزيز، لأن الابتعاد عن هذا الصراط هو ابتعاد على الله تبارك وتعالى، والابتعاد عن الله الذي هو الوجود الصرف والنور التام والكمال المحض يؤدي إلى الظلمة والتلوث، والقادر على خلاص الإنسان من الظلمة إلى النور بالذات وهو الله نور السماوات والأرض، ولذلك نجد ان الله سبحانه يحصر تولي هذا الأمر بذاته المقدسة حيث يقول عز من قائل ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ "البقرة – ٢٥٧"، لكن نسبة القيام بهذه المهمة يوكلها إلى الرسول الأكرم وهذه النسبة انما تصح على اعتبار ان الإنسان الكامل هو خليفة الله والخليفة انما يؤدي وينجز أي عمل على نحو النيابة والخلافة لا على نحو الإصالة والاستقلالية، وهذا ما أشارت الآية حيث قيدت الاخراج من الظلمات النور بالأذن الإلهي "بأذن ربهم"، وثمة قضية مهمة أخرى لابد من الإشارة إليها في هذا الصدد وهى ان القرآن الكريم يؤكد بأن العامل الوحيد الذي يستطيع القيام بمهمة تنوير الإنسان وإخراجه من الظلمات إلى النور هو الحكومة الإسلامية التي تنبثق من القرآن، والإنسان الذي يحرم من هذا النور لن يغادر الظلمة يقول الله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ "النور: ٤٠".

علاوة على ذلك، هناك أهداف وسطى ايضاً للحكومة الإسلامية يشير إليها الشيخ جوادي أملي، إذ انه يصرح أن هدف النبوة العامة أي ان جميع الأنبياء جاءوا لتحقيق هدف اشارت له الآية الكريمة من سورة الحديد ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ "الحديد: ٢٥"، حيث تبين هذه الآية أن قادة الحكومة الإسلامية وجميع الانبياء لهم هدف عام على طول التاريخ وهو إقامة القسط ونشر العدل الاجتماعي، لأن الحفاظ على الحقوق الفردية والاجتماعية، وبناء مظاهر التحضر يعد من الأهداف والشؤون الفرعية للهدف الرئيسي وهو نورانية الإنسان، على

اعتبار أن الإنسان النوراني هو خليفة الله وإنسان كامل في الواقع، ومن الطبيعي ان يحفظ هذا الوجود المقدس حقوق الإنسان ويدافع عنها، لهذا فإن ما ذكرته الآية السابقة كهدف لحكومة القادة الإلهيين هو هدف وسطي وليس نهائي، و الهدف النهائي هو ما تقدم ذكره وهو تجسيد الخلافة الالهية بواسطة الإنسان الكامل(٤٠).

صفات المدينة الفاضلة:

يرى الشيخ جوادي أن هناك عدة صفات وشروط للمدينة الفاضلة ترتبط بعضها بالمحيط والبيئة الذي تنشأ وتقام فيها، فيما يرتبط بعضها الآخر بأهل هذه المدينة، رغم أن كل الصفات والمميزات التي تتمتع بها المدينة الفاضلة تنشأ من خلال النضوج والرقي العلمي لأهلها ويمكن ان نشير إلى اهم مواصفات المدينة الفاضلة وهي(٤١).

١. التنمية الثقافية الشاملة وانهاء الجهالات.

يقول الله سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ "الجمعة:٢"، حيث تبين هذه الآية المباركة وظيفة قائد الحكومة الإسلامية بتعليم رعاياه، فالمشكلة الأساسية التي تواجه المجتمعات الجاهلة سواء كانت القديمة منها أو الحديثة هو الجهل بأسس وأصول الحضارة النقية أو عدم العمل بما يعلمون فيما لو كانوا يعلمون، أي بمعنى آخر ان العاملان الرئيسيان لانحطاط المجتمعات هو الجهالة والضلالة، ومن هنا كان أهم أهداف الحكومة الإسلامية على المستوى الثقافي هو القضاء على الجهل والضلال ومكافحته لأنه بإزالة الجهل والضلال يصبح المجال فسيحاً و مهيأً لشيوع العلم والحكمة وتربية الروح وتهذيب النفس، ولذلك بينت الآية المباركة طريق الوصول إلى هذه الأهداف من خلال التزكية والتعليم.

٢. التنمية الاقتصادية العادلة.

تقع مسؤولية تحديد الخطوط العامة للسياسة الاقتصادية الإسلامية على عاتق القائد الإسلامي الذي يمكنه صياغة السياسة الاقتصادية من الدستور والنظام الإلهي ويمكن أن نلخص الرؤية الإسلامية في التنمية الاقتصادية بما يلي:

أ - تعد الثروة الاقتصادية بمثابة العمود الفقري للمجتمع الإنساني و بمنزلة الدم في

البدن، إذ انها تشكل الركن الأساسي لقيام المجتمعات الإنسانية.

ب - ان الثروة الاقتصادية تعود لجميع افراد المجتمع الإنساني.

ت - ان المالك الحقيقي هو الله جل جلاله والناس وكلاء وامناء له على ما في ايديهم من الثروات، هذا من ناحية العلاقة من الله تبارك وتعالى، اما من ناحية العلاقات فيما بينهم، فالأصل الملكية لأفراد المجتمع.

ث- تداول الأموال بين الناس يكون على اساس "التجارة عن تراض"، بالإضافة إلى الاساليب والطرق المذكورة في الشريعة الإسلامية مثل الإرث والهبة وغيرها من المعاملات.

ج - التأكيد على لزوم التعامل والتداول التام بين الجميع والنهي عن تداول الأموال بصورة ناقصة غير تامة.

ح - التأكيد على لزوم تداول الثروات من الناس، والنهي عن احتكارها واكتنازها بيد فئة خاصة.

خ - عدم وضع الثروات والاموال بيد السفهاء والنهي عن الاسراف والترف المذموم الغير جائز.

٣. التنمية الصناعية السليمة وتعليم الناس الحرف النافعة:

تقع مسؤولية الحث على العلم التام بالصناعات وتطويرها وتعلم كيفية استثمارها على كاهل القادة والحكام للنظام الإسلامي، وقد بينت الشريعة الإلهية الخطوط العريضة لذلك، من خلال طرح عدة طرق وأساليب ومناهج، حيث نقلت بعض السير لأعلام التحضر والمدن الفاضلة كانت نماذج يتعلم منها المجتمع والقادة والرؤساء كيفية إدارة هذا النوع من الصناعات والحرف وممكن أن نلخص ابرز النقاط في هذا المجال بما يأتي:

أ- ان الحكومة الإسلامية تحث على اصل النشاط والتعلم الصناعي.

ب- ان تلبية الاحتياجات العلمية والعملية في كل عصر يعد من اهم مصادق الاستفادة الصحيحة من الصناعات المتطورة.

ت- ان ما ذكره القرآن الكريم فيما يتعلق بالنشاط الصناعي السليم جاء من باب ذكر النموذج الأمثل للنشاط وليس من جهة تحديد وتعيين المصادق أو حصرها، وعلى ذلك فلا معنى لحصر المصادق المفيدة بتلك النماذج فقط، بل يمكن طرح مصادق أخرى من شأنها أن تنهض وتطور النشاط الصناعي وعلى كافة المستويات المشروعة.

ث- تاريخ الحكام والقادة الدينين الذي تناول سيرة هؤلاء القادة والحكام يروي لنا العديد من السبل والطرق التي استخدمها هولاء القادة في تفعيل النشاط الصناعي وتطويره.

ج- من الامثلة على تلك الصناعات التي استخدمها وطورها القادة الدينين مثل الأنبياء والمرسلين، صناعة السفن والتي استخدمها نبي الله نوح، وصناعة الدروع التي استعملها النبي داوود، فضلاً عن العديد من الصناعات في مجال الفن والبناء - والعمران والصناعات اليدوية والقدور في عهد نبي الله سليمان، والتي تشكل نماذج صناعية لتغطية متطلبات الحياة المعيشة في تلك الأزمنة.

فالحكومة الإسلامية وسياستها وفقاً للشريعة الالهية وما جاءت به من امثلة وشواهد تاريخية تحث وتدعم تطوير المجال الصناعي بكافة انواعه لتسخيرها في الأمور المفيدة للمجتمع وتجتنب تسخيره في الأمور المضرة من قبل التخريب والعدوان والإحراق والقتل وافساد الحياة الطبيعية من بر و بحر وايذاء الإنسان والحيوان، ومن هنا نستطيع ان نفرق بين توجهات الكوادر الصناعية في ظل الحكومة الإسلامية وبين التوجهات الصناعية في ظل الدول الظالمة والمستبدة التي تدعي التحضر.

٤. حفظ الحقوق الداخلية والخارجية

ان تطوير المسائل الحقوقية القانونية سواء على المستوى الداخلي أو الخارج وتدوين المقررات اللازمة لتحقيق ذلك ومن ثم تنفيذها، منوط بالقادة الإلهيين الذين يراعون الشريعة والقوانين الإسلامية العامة، فالشريعة الإسلامية كقانون الهي استوعب كافة المجالات الإنسانية لكن على شكل مقررات وقوانين كلية، لكن التطور الذي شهده الإنسان

خلال التاريخ، يحتاج إلى صياغة تلك القوانين والتشريعات بطريقة واسلوب يناسب الزمن، مع الحفاظ على أصل وشكل التشريع، بما لا يعد تجاوزاً للحدود والقوانين الإلهية(٤٢).

حاكمية الإنسان الكامل وعلاقتها بالعصمة:

لقد دل البرهان العقلي على ان خالق الإنسان والعالم هو الموجود الوحيد الذي له حق الولاية والحاكمية على الإنسان والمجتمع الإنساني بالأصالة، لأن الله عز وجل قد حصر الولاية بذاته على نحو الاصالة "فالله هو الولي"، اما الذي يمثل هذه الولاية والحاكمية من البشر ليكون خليفة لله في الحاكمية والحكم بينهم، فهو من تتوفر فيه صفة العصمة سواء على مستوى العلم أو على مستوى العمل، فلا يرتكب خطأ أو ذنب عملي ولا يقع في أي انحراف كما لا يقع في خطأ علمي أي انه مطيع لله في علمه وعمله، لذلك فإن الله جل جلاله بعد ان اكد الحاكمية والولاية وحصرها بذاته اصالة، نسبها في ايات أخرى إلى عباده و خلفاءه الصادقين كونهم معصومين، فهم لا يعملون أي عمل الا بأمر الله ولا يقولون قولا الا بتعليم الله فهم يسندون علمهم وعملهم لله تعالى، ولذلك كانت ولايتهم وحاكميتهم هي ولاية وحاكمية الله تعالى(٤٣).

ويشير الشيخ جوادي إلى ان هناك دليل نقلي مستل من الايات الكريمة للقرآن يؤيد ما جاء به الدليل العقلي على لزوم العصمة في أولي امر المسلمين، حيث يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ "النساء: ٥٩". إذ أن هذه الآية الكريمة تشتمل على ثلاثة اجزاء، ففي الجزء الأول هناك أمر بطاعة ثلاثة: هم الله ورسوله وأولي الأمر، وفي الجزء الثاني صرحت بمرجعية اثنين – هما الله تعالى والرسول الأمين، وفي الجزء الثالث هناك حديث عن الايمان بالله وحده، ويؤكد الشيخ جوادي ان هذا السير في هذه الرواية من التثليث وكذلك التثنية في الجزء الأول والثاني مرجعهما في الحقيقة إلى التوحيد في العبادة والطاعة، أي بعبارة أخرى أن طاعة الرسول واولي الأمر والانقياد والاتباع لهما هي طاعة لله، لأنهم في علمهم وعملهم يستندون إلى الله تبارك وتعالى(٤٤).

إن الذي يدل على العصمة لأولي الأمر في الآية الكريمة هو ((الأمر المطلق غير المقيد

بأي قيد أو شرط بطاعتهم، فلا يمكن الأمر بالطاعة المطلقة لولي أمر المسلمين إذا لم يكن معصوماً أو كان يحتمل وقوعه في أي خطأ في الأفعال والأقوال حتى لو كانت عدالته محرزة لا شك فيها، لأن العدالة تعصمه من العصيان عن عمد لكنها لا تعصمه من السهو والنسيان، وطاعته حينئذ تكون مقيدة بالموارد التي يكون أمره فيها مطابقاً للأوامر الإلهية فلا تكون أوامره في غير هذه الموارد معتبرة أصلاً وهذا ما يدل عليه البرهان العقلي))[٤٥]، أي ان الإنسان الذي أمر الله بطاعته لابد ان يكون معصوماً حتى تكون طاعته توجب الهداية وسلوك الطريق المستقيم الذي يوصل إلى الكمال.

وهذا البرهان ينسجم مع الحديث المروي عن الرسول ﷺ " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق "، إذ لو لم يكن معصوماً لوجب أن تعرض اقوال و افعال ذلك الإنسان على ميزان يقومها باستمرا، وهذا يعني اننا لا نستطيع أن نطيعه طاعة مطلقة بدون قيد أو شرط وانما نستطيع اطاعته في الافعال والاقوال المطابقة لذلك الميزان وفي هذه الحالة لا يكون مطاعاً مطلقاً بل يكون المطاع في الحقيقة ذلك الميزان[٤٦].

ثم يستبعد الشيخ جوادي أن يكون القرآن الكريم هو الميزان والمعيار الذي نقيس به افعال و اقوال اولي الأمر فيقول الشيخ ((ويقيناً إن هذا المعيار والميزان الالهي ليس القرآن الكريم لأن ظواهر كلماته يمكن عرض تفسيرات متعددة لها من قبل الأشخاص كل حسب ذوقه، لذا فالميزان وكلمة الفصل في العلم والعمل هو "القرآن الناطق" المشتمل على الحقائق القرآنية إضافة إلى أنه غير متعدد الوجوه، فتكون أقواله وأفعاله وسيرته وسكناته وحركاته معياراً واضحاً لتقويم أفكار واقوال وافعال الأخرين، وهذا الشخص هو الذي يوصف بوصف "المعصوم"، فتجب طاعته بصورة مطلقة))[٤٧]

مقام الإنسان الكامل وخصائصه في كل زمان:

يرى الشيخ جوادي آملي ان الاحاطة بمقام الإنسان الكامل لا يتحصل الا من خلال التأمل في حقيقة تعليم الأسماء التي جاء في الآية الكريمة من سورة البقرة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ "البقرة: ٣١"، على اعتبار ان الإنسان الكامل في النشأة الطبيعية هو الذي يعلم

المجتمعات الإنسانية انطلاقاً من قوله تعالى "ويعلمهم الكتاب والحكمة" بل لديه مسؤولية تجاه الملائكة ايضاً كما في قوله تعالى "يا آدم انبئهم بأسمائهم" فالملائكة التي تدبر الأمور تأخذ الاشارات والأوامر من الإنسان الكامل الولي الحاضر في كل الأزمنة، وهذا الشموخ في المقام، وهو مقام الإنسان الكامل ومنزلة الامام المعصوم حيث تولى مهمة توجيه الملائكة وتعليم المجتمع(٤٨)، وقد اشار أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب إلى خصوصيتين اساسيتين وهو يصف أهل البيت وخاتم الاولياء(٤٩):

الأولى: الخصائص العلمية: إذ أن المنزلة العلمية لصاحب العصر الإنسان الكامل تقتضي بالإضافة إلى عدم فرض رأيه الخاص على القرآن أن يعرض قوله ورايه على القرآن فإذا وافقه اخذ به و إذا رده القرآن فيرفضه ويرده وهذا ما أشار اليه امير المؤمنين بقوله " يعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي"، في اشارة إلى القوم الذين خالفوا هذا المنهج في العلم وكانوا يوجهون الآيات القرآنية بما ينسجم مع أراءهم الشخصية وميولهم الخاصة ويحكمون بما تشتهي انفسهم.

الثانية: الخصائص العملية: في مجال العمل حيث يقوم الإنسان الكامل ومصداقه الاتم صاحب العصر بجعل الهداية هي التي تسير الهوى وتقودها وتقهرها، حيث يصبح الهوى تابعاً للهداية "يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى " بينما نجد أن سائر الناس يقومون بتحكيم الهوى على الهدى وعلى القرآن الكريم فيصبح القرآن تابعاً لميولهم وأهوائهم لا قائداً لهم.

علاقة معرفة الامام بمعرفة الخلافة الإلهية:

يؤكد الشيخ جوادي أملي أن الإحاطة التامة بمعنى الخلافة الالهية هو الذي يفتح الطريق امام معرفة إمام العصر باعتباره الإنسان الكامل، إذ ان افضل وصف يمكن أن يوصف به الإنسان الكامل هو انه خليفة الله. والخليفة عادة ما يطلق على من ينوب عن من ترك مكانه وغاب فمن يأتي ليشغل ذلك المكان وقام بما كان يقوم به من عمل أطلق عليه اسم خليفة، أما إذا كان هناك موجود لا يمكن أن يغيب عن مكان "اينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله" فهو حاضر في كل مكان وفي هذه الحالة فهناك احتمالين الأول ان لا يكون له خليفة، لأنه لا يحتاج إلى خليفة فهو موجود في كل مكان وقادر على كل شيء والاحتمال

الآخر ان يكون له خليفة ولكن باعتباره مظهراً تاماً له، ويكون هذا الحضور والظهور لذلك الخليفة بأذن الله تعالى في كل مكان، كما أن الله تعالى عندما يطلق على الإنسان الكامل لفظ خليفة "اني جاعلك للناس خليفة" فانه يبرز ويوضح مكانته السامية التي استحق بها ان يكون مظهراً تاماً لجميع الأسماء الالهية، واي شيء ثبت لله تعالى بشكل أزلي بأي نحو من الانحاء فانه يثبت لخليفته الإنسان الكامل لكن بعنوان المرآتية والظهور(٥٠).

إن الخلافة الالهية تتجلى في الإنسان الكامل، فله أن يظهر ويحضر في كل مكان بعنوان الآية الالهية الكبرى، كما له أن يستفيد من اللطف والفيض الالهيين في جميع المراتب، وهذا الموجود تارة يكون رسولاً وأخرى يكون إماماً، ثم ان الخلافة الالهية لباس فاخر لا تليق الا بمن له صورة ملكوتية للإنسان الكامل، والملائكة المقربون لا سعة لديهم لنيل هذا المقام الشامخ، إذ "وما منا إلا له مقام معلوم" "الصافات: ١٦٤"، فلا تكون لهم الخلافة الالهية "بكل شي محيطا" و"على كل شيء شهيدا"،ومعه فلا يمكن أن يكون مظهراً لله في كل مكان الا الإنسان الكامل(٥١).

الإمام المهدي المصداق الاتم للإنسان الكامل في العصر الراهن.

يعتقد الشيخ جوادي أملي أن مقام الخلافة الإلهية هو القاعدة والأساس الذي تستند عليه النبوة والامامة، فالأنبياء والائمة هم خلفاء الله في الأرض، ومع مقام الخلافة يتحقق ظهور صفات الحق تعالى في الإنسان الكامل بشكل تام، كما ان الإنسان الوحيد الذي تتجلى فيه العصمة المطلقة هو خليفة الله، وهو الإنسان الكامل المظهر الاتم الذي يجمع الاسماء الالهية الحسنى، وذلك الإنسان هو ايضا مظهر الفيض الالهي التام. وبواسطة وجوده المبارك يمكن لسائر الموجودات الأخرى من الانس والجن والملائكة أن تأخذ من الانوار الالهية لأن ((ببقائه بقيت الدنيا، وبيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء))(٥٢).

ويؤكد الشيخ جوادي أن العصر الذي نعيشه في الوقت الحاضر لا يوجد فيه إنسان كامل سوى الإمام المهدي المنتظر، وهو خليفة الله ومعلم الملائكة والانس والجن، ويمتلك مقام خليفة الله الاعظم ومقام العصمة المطلقة، ولابد من الاشارة إلى انه قد ورد وصف الإنسان الكامل - وبالخصوص ائمة اهل البيت - بأنه خليفة الله في الأرض، الا ان الشيخ جوادي يعتقد عدم انحصار خلافته في الأرض، وانما تتسع مساحة خلافته من قبل الله لتصل

إلى ما يقع بين العرش وبين اديم الأرض على حد وصفه[٥٣].

خصائص المدينة الفاضلة المهدوية (أو خصائص مدينة الامام المهدي الفاضلة)

يشير الشيخ جوادي آملي إلى مجموعة من الخصائص التي تختص بها المدينة الفاضلة للإمام المهدي ومنها ان الدين الإلهي سيظهر على جميع الأديان، وسيتحقق الوعد الالهي بظهور ولي الله الأعظم وخليفته، وسيعم دين التوحيد في الافاق كافة ويحكم العالم بقيادة الإنسان الكامل بالعدل، إذ أن أصول القانون الأساسي لحكومة الامام المهدي تستند إلى ((أسس العدل وتعزيز روح الغنى والقناعة كما وصف نبي الإسلام الأعظم ﷺ سنته وسيرته قائلاً "ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم بعدله "[٥٤]، أي إن المهدي الموعود يغني بإذن الله قلوب الأمة الإسلامية، وينشر العدل في سائر بقاع العالم))[٥٥]، وقيام حكومة العدل والحق على يد الامام المهدي للإنسان الكامل لا يمثل نهاية للشرك وعبادة الاصنام فقط، بل انها تمثل ايضاً خاتمة للحياة المترفة المبنية على البذخ والتي تشكل عقبة أمام طريق السعادة الحقيقية وقد اشارت بعض الروايات المنقولة عن الأئمة المعصومين إلى نشر العدل الذي يتحقق في ظل حاكمية الامام الحجة، إذ نقل عن الامام الحسين انه قال: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله (عز وجل) ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلا وقسطا كما ملئت جوراً وظلماً "، وهذا الحديث يدل على أن الهدف من ظهور الإمام وحاكميته هو تحقيق العدل وإقامته واخذ حقوق المظلومين من الظالمين والوقوف بوجه أي تعدي أو تجاوز للمجرمين على المظلومين[٥٦].

إن المجتمع الإنساني بكافة توجهاته ينشد العدل، الذي يتحقق في ظل حاكمية الإنسان الكامل ومصداقه الوحيد في العصر الحاضر الامام المهدي، كما ان مساحة العدل والقسط في المدينة الفاضلة المهدوية لن يكتفى بنشر الأمن والأمان في كافة الشؤون الحياتية للإنسان، وانما يتعامل الإمام المهدي المنتظر بالحق إلى جانب العدل، الأمر الذي يؤدي إلى الوقوف الحازم بوجه كل من يحاول الإساءة للنفس والمال والعرض أو التعدي على العقيدة والايمان أو على حريم الدين الالهي المتمثل بالإسلام[٥٧] ويؤكد الشيخ كذلك على ان العدل النبوي والعلوي الذي يتجلى على يد الامام المهدي، والذي يشكل الخطوط العامة للحاكمية سوف يرتهن بوجود جنود مخلصين وذو وعي وصادقين حتى يتحقق ذلك النصر اما إذا كانت

الجهة القابلة غير تامة مثل ما حصل مع أمير المؤمنين فسوف نصل إلى حروب مثل الجمل وصفين والنهروان، حيث ان العلة الفاعلة كانت تامة وهي وجود الحاكم الإنسان الكامل، ولكن العلة القابلة لم تكن تامة وهي وجود الجنود والاتباع المخلصين(٥٨).

ومن خصائص المدينة الفاضلة المهدوية هو كمال العقل النظري والعملي، إذ ان ((أن سعادة البشر لا تتحقق إلا في ظل هداية العقل النظري وإرشاد العقل العملي و مالم يصل هذان العاملان إلى كمالهما اللائق، فلن تثمر شجرة الإنسانية المباركة ثمرها المطلوب وثمرة شجرة طوبى الإنسانية في بعديها النظري والعملي العلم والعدل ولذا يلاحظ: أن الهدف النهائي من انزال الكتب وارسال الرسل هو ضمان سعادة البشر في مختلف شؤون حياته))(٥٩)، كما أن من الغايات الأساسية للأديان هو بناء مجتمع متحضر تنشأ في ظله الإنسانية لتنتج التعقل والعلم مع العدل في جميع مجالات الحياة لإيصال الإنسان إلى سعادته العليا و عندما تسود الحاكمية المهدوية فإن العقل سوف يتحرر من أسر الهوى، وسوف تثار دفائن العقول ببركة وجود الإنسان الكامل سوف تنتشر ملكة الفضل والغنى بدلا عن رذيلة الخسة والدناءة، وسوف يتم بناء مدينة المبادئ الإنسانية الفاضلة(٦٠).

ومن تلك الخصائص ايضاً هو القضاء بالحق، فعندما ((يرفرف لواء حكومة الحق والعدل المهدوي عالياً خفاقا ويعزف نشيد التوحيد ويحكم بالعدل والقسط، لن يبقى أثر لما يهدد الأمن من الظلم والتجاوز على حقوق الأخرين، والوجه فيه: أن الباحثين عن الحق من الأمة الإسلامية ممن بايع الحجة ونال ببركته كمال العقل وروح القناعة والغنى لن يكون سيرهم وسلوكهم إلا في ظل التوجيه والعدل، لينالوا ثمرة عدل المدينة المهدوية(٦١)، ومن تلك الخصائص التقدم الصناعي والتكنولوجي، إذ سيصل التطور في عصر حاكمية الامام المهدي إلى ذروته وفي جميع المجالات، وهذا عكس تصور البعض، إذ يعتقد البعض اننا سنعود إلى عهد الحياة البدوية البسيطة، والأمر عكس ذلك تماماً، حيث سيبلغ العمران إلى اعلى درجات الكمال(٦٢).

كذلك من خصائص المدينة الفاضلة للإمام المهدي هي انتشار مظاهر التقوى والصلاح في الحكومة المهدوية حيث سيشهد عصر الامام وفي حكومته توجهاً للناس نحو الحق والعدالة والتقوى والصلاح، فعندما تكون كافة المؤسسات الحكومية سواء كانت قضائية أو

تنفيذية قائمة على اساس العدل والحق والقسط، وحينما تسن الحكومة القوانين المدنية والحقوقية والجزائية بشكل عادل، فمن الطبيعي أن تنعكس تلك الإجراءات العادلة على الناس فيتبعون الحق ويستقبلونه على اتم وجه((ولعل من ابرز خصائص زمان حاكمية امام العصر اقامة الاحكام الإسلامية والتعالىم الدينية واقتداء سكان مدينة العدل والفضيلة بإمامهم ما يكون له دور فاعل في بناء هذه المدينة))[٦٣].

الخاتمة:ـ

وفقاً للرؤية الإسلامية المنطلقة من الإيمان بالله واليوم الآخر، والايمان بما جاء به القرآن الكريم من معارف وعلوم، فإن الإنسان الكامل حقيقة واقعية اكدت عليها النصوص الدينية بأجمعها، وجاء الدين الإسلامي ليرسم معالم وتفاصيل قيادة العالم إلى التوحيد الحقيقي والى نشر السلام والحرية والعدل وكل القيم الاخلاقية والإنسانية الاصيلة، وهذا ما أثبته الشيخ جوادي آملي في بحثه عن حاكمية الإنسان الكامل في الفلسفة الإسلامية السياسية، ومدينة صاحب الزمان الفاضلة أو المدينة المهدوية الفاضلة التي ينشدها الإنسان منذ بدأ الخليقة والى زماننا هذا بعد ان دعى إليها افلاطون في جمهوريته والفارابي في مدينته الفاضلة وكانت حلم الانبياء والاولياء.

هوامش البحث

(١) أبي الحسين احمد ابن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٢، دار الفكر، ١٩٧٩، ص٩١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، دار صادر، لبنان-بيروت، ط بلا، ع بلا، ص ١٤٤.

(٣) احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، عالم الكتب، ط١، القاهرة - مصر، ٢٠٠٨.، ص٥٣٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٥٣٨-٥٣٩.

(٥) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج١، دار ذوي القربى، ط١، قم، ص٤٩٤.

(٦) عادل بن محمد بن عمر العمري، مفهوم الحاكمية لله بين النص القرآني والتأويل السياسي، مجلة الدراسات العربية-كلية دار العلوم- جامعة المنيا، المملكة العربية السعودية، ص٥٠٧-٥٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ص٥١٣.

(٨) محمد شحرور، الدين والسلطة - قراءة معاصرة للحاكمية، دار الساقي، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠١٤، ص٤٤.

(٩) ينظر: عبد الامير دلي مجباس، الحاكمية في فكر الامام علي، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، ط ١، كربلاء- العراق، ٢٠١٦، ص٢٩ -٣١.
(١٠) محمد شحرور، الدين والسلطة -قراءة معاصرة للحاكمية، مصدر سابق، ص٥٩.
(١١) ينظر: عبد الامير دلي مجباس، الحاكمية في فكر الامام علي ، ص٣١
(١٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١١، مصدر سابق، ص٥٩٨.
(١٣) احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، مصدر سابق، ص١٩٥٩.
(١٤) مرتضى مطهري، أنسنة الحياة في الإسلام، دار الارشاد، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩، ص٧٣.
(١٥) مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط بلا، الاردن - عمان، ٢٠١٢، ص٤٦٨.
(١٦) المصدر نفسه، ص ٤٦٨.
(١٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، مصدر سابق، ص٤٢٩.
(١٨) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج١، مصدر سابق، ص٦٧٩-٦٨٠.
(١٩) ينظر: علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، دار المعارف، مصر- القاهرة، ط٩، ع بلا ، ص٢٢.
(٢٠) جوادي آملي، خمس رسائل، دار الصفوة، ط بلا، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩، ص١٣٥.
(٢١) المصدر نفسه، ص١٣٥-١٣٦.
(٢٢) ينظر: المصدر نفسه ، ص١٣٦.
(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٣٦.
(٢٤) المصدر السابق، ص ١٣٦.
(٢٥) ينظر: المصدر نفسه، ص١٣٦-١٣٧.
(٢٦) ينظر: المصدر السابق، ص١٣٧-١٣٨.
(٢٧) المصدر السابق، ص١٣٩.
(٢٨) المصدر السابق، ص١٤٠.
(٢٩) المصدر السابق، ص١٤٥.
(٣٠) ينظر، المصدر السابق، ص١٥٠-١٥٢.
(٣١) المصدر نفسه، ص١٥٣.
(٣٢) عبد الله الجوادي الاملي، الامام الخميني ثورة العشق الالهي، ت: كمال السيد، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر، ط١،لبنان -بيروت، ١٤٢٢هـ، ص٣٣٥.
(٣٣) المصدر السابق، ص٣٣٧.
(٣٤) عبد الله الجوادي الطبري الآملي، ادب فناء المقربين شرح زيارة الجامعة الكبيرة،ج١، تعريب: وجيه بن محمد المسبح الهجري، دار الاسراء، ط٢، قم - ايران، ٢٠١٦، ص٢١٥.
(٣٥) عبد الله الجوادي الاملي، الامام الخميني ثورة العشق الالهي، مصدر سابق، ص٣٣٨.

(٣٦) عبد الله الجوادي الآملي، ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة،ت: عرفان محمود، الدار الإسلامية، ط١، لبنان- بيروت، ٢٠٠٢، ص٨٢.
(٣٧) ينظر: عبد الله الجوادي الاملي، الامام الخميني ثورة العشق الالهي، مصدر سابق ، ص٣٣٢.
(٣٨) مصدر سابق، ص٣٣٣.
(٣٩) ينظر: عبد الله الجوادي الآملي، ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة، مصدر سابق، ص٨٢-٨٣.
(٤٠) ينظر: عبد الله الجوادي الآملي، ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة، ص٨٤-٨٦.
(٤١) ينظر: المصدر نفسه، ص٨٨-٩٨.
(٤٢) ينظر: المصدر السابق ، ص٨٨-٩٨.
(٤٣) ينظر: المصدر السابق، ص٨٠.
(٤٤) ينظر: المصدر السابق، ص٨١.
(٤٥) المصدر نفسه، ص ٨١.
(٤٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٨١.
(٤٧) المصدر نفسه، ص٨٢.
(٤٨) ينظر: عبد الله الجوادي الطبري الاملي، الامام المهدي الموجود الموعود، دار الاسراء للطباعة والنشر، ط١، بيروت - لبنان، ٢٠١٣،، ص١٢٣.
(٤٩) ينظر: المصدر نفسه، ص١٢٤.
(٥٠) ينظر: المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٨.
(٥١) المصدر نفسه، ص ١٢٨.
(٥٢)عباس القمي، مفاتيح الجنان، دعاء العديلة، منشورات الفجر،ط٢،لبنان-بيروت،٢٠١٩، ص١١٨.
(٥٣) ينظر: عبد الله الجوادي الطبري الاملي، الامام المهدي الموجود الموعود، مصدر سابق، ص١٣٠.
(٥٤) علي بن عيسى الارذبيلي، كشف الغمة، ج٢، مكتبة بني هاشم، تبريز- ايران، ١٣٨١هـ، ص٤٨٣.
(٥٥) عبد الله الجوادي الطبري الاملي، الامام المهدي الموجود الموعود، مصدر سابق، ص٢٧٥.
(٥٦) ينظر: المصدر السابق، ص٢٧٥-٢٧٧.
(٥٧) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٧٩.
(٥٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٨٠.
(٥٩) المصدر نفسه، ص ٢٨١.
(٦٠) ينظر: المصدر السابق، ص٢٨٢.
(٦١) المصدر نفسه، ص٢٨٣.
(٦٢) ينظر، المصدر نفسه، ص٢٨٦.
(٦٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. محمد شحرور، الدين والسلطة -قراءة معاصرة للحاكمية، دار الساقي، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠١٤.
٢. عبد الامير دلي مجباس، الحاكمية في فكر الامام علي، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، ط ١، كربلاء- العراق، ٢٠١٦.
٣. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، دار صادر، لبنان-بيروت، ط بلا، ع بلا.
٤. علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، دار المعارف، مصر- القاهرة، ط٩، ع بلا.
٥. احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، عالم الكتب، ط١، القاهرة - مصر، ٢٠٠٨.
٦. ابي الحسين احمد ابن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٢، دار الفكر، ١٩٧٩.
٧. عادل بن محمد بن عمر العمري، مفهوم الحاكمية لله بين النص القرآني والتأويل السياسي، مجلة الدراسات العربية-كلية دار العلوم- جامعة المنيا، المملكة العربية السعودية.
٨. عبد الله الجوادي الطبري الاملي، الامام المهدي الموجود الموعود، دار الاسراء للطباعة والنشر، ط١، بيروت - لبنان، ٢٠١٣.
٩. عبد الله الجوادي الاملي، الامام الخميني ثورة العشق الالهي، ت: كمال السيد، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر، ط١،لبنان -بيروت، ١٤٢٢هـ.
١٠. عبد الله الجوادي الآملي، ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة،ت: عرفان محمود، الدار الإسلامية، ط١، لبنان- بيروت، ٢٠٠٢.
١١. عبد الله الجوادي الطبري الآملي، ادب فناء المقربين شرح زيارة الجامعة الكبيرة،ج١، تعريب: وجيه بن محمد المسبح الهجري، دار الاسراء، ط٢، قم - ايران، ٢٠١٦.
١٢. مرتضى مطهري، أنسنة الحياة في الإسلام، دار الارشاد، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩.
١٣. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط بلا، الاردن - عمان، ٢٠١٢.
١٤. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج١، دار ذوي القربى، ط١، قم.
١٥. جوادي آملي، خمس رسائل، دار الصفوة، ط بلا، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩.
١٦. علي بن عيسى الارذبيلي، كشف الغمة، ج٢، مكتبة بني هاشم، تبريز- ايران، ١٣٨١هـ.